لم اعتد على أن أتحدث في المناقشات الجامعية : مناقشا أو مشرفا، لم اعتد أن أتحدث بكلمة معدة سلفا ، وهذه المرة الأولى \_ ولعلها الأخيرة \_ التي أهيُّ فيها لهذا المقام مقالا.. لماذا ؟ أكذب لو قلت لأسباب عدّة ، وجرأة مني لو قلت لسبب واحد، غير أن الأمر لا يتعلق بالمناقشة كلها بقدر ما يتعلق بحاجة في التخاطر والتراهن مع النفس، وحين اتفق الطرفان: أحمد وأحمد. على الرهان اتفقا على أن يقدما دليلا ووثاقا على عقدهما فكانت هذه الأسطر دليلا على من كسب رهانه .

 كنت أقول مع نفسي أن الملاحظة الأبرز التي ستطفو على سطح الملاحظ هي حول ( ماهية ) القصيدة الملحمية \_ حقيقتها الفنية \_ النقدية \_ الإجناسية \_ وهل يوجد أصلا شعر ملحمي في الشعر العربي وإن وجد هل سيكون ضمن الغنائي ؟ وهل يشكل الشعر الملحمي ظاهرة أسلوبية بارزة في الشعر العربي وتحديدا العراقي ؟ ما خصيصة الملحمة وما الدليل على وجود خصائصها في الشعر الغنائي ؟ أسئلة كثيرة لا تنتهي .

على الرغم من أن الباحث أثار هذه الإشكالية في أطروحته إلا أنني على يقين بأن رؤاه النقدية قد لا يقتنع بها الآخر ، وهو محق \_ الباحث والآخر \_ إذن من صاحب الحق ؟ الباحث أم المناقش ؟ الكاتب أم القارئ ومن الذي كسب الرهان أنا أم نحن ؟

مثلما يعجز صاحب البصر الحديد عن تقدير مساحة شاسعة بعينه المجردة كذلك تعجز العين النقدية عن رصد الحدود الشرعية للقصيدة الحديثة وتحولاتها ... بمعنى آخر وبلغة أكثر صراحة وواقعية إذا كان النقد العربي ( الرسمي ) \_ وأنا أعنيها هذه الصفة ( الرسمي) \_ إذا كان هذا النقد بالكاد اعترف بقصيدة النثر على أنها ( شعر ) فما بالك بقصيدة نثرية وملحمية هذا يعني أن الحكم بالإعدام أو المؤبد \_ في أرفق الأحوال \_ سيكون من نصيب هذا المخلوق الغريب ! أي شكل شعري عربي إن لم تعترف به المؤسسة النقدية الرسمية ( الأكاديمية ) سيبقى شكلا زانيا مقطوع النسب . خذو مثلا قصيدة التفعيلة العراقية كانت لسنوات عدة خارج المتن الأكاديمي حتى درسها يوسف الصائغ الشاعر ومحسن أطيمش الشاعر الناقد درسوها أكاديميا فتوالت الدراسات النقدية الأكاديمية في قراءة تلك القصيدة .. بل لا أبالغ لو قلت أن تلك المؤسسة الرسمية الأكاديمية الخادمة للسلطة هي من قعدت مصطلح الرواد على أربعة فقط وألغت بعض الأسماء التي حاول النقد غير الرسمي أن يبشر بريادتهم .. وإذا كانت قصيدة التفعيلة ذات النسل الإيقاعي الخليلي لم تنزع حقها إلا بشق الأنفس فما بالك بقصيدة النثر المبتورة النسب مع الخليل ؟ ما أريد قوله : ليس أنتم وحدكم من أشكل عليكم النص \_ يا أصدقائي المناقشين \_ بل أنا والله أشك في أمره أيضا وما يدرينا لعل زينا أيضا لم يؤمن بها إيمان الأنبياء برسالاتهم .

عيب القصيدة الملحمية أنها لم تنل اعتراف المؤسسة النقدية بعد ، وقيمة هذا العمل الذي نحن بصدد قراءته ومناقشته أنه أشعل شمعة في طريقها لنبصر خطواتها ولو بمسافة باع نقدي واحد ومسافة المئة كتاب تبدأ بكتاب واحد، نعم هذا العمل محاولة جادة وقاصدة وهادفة إلى انتزاع الاعتراف النقدي بهذا النوع الشعري الذي هو أكبر من أن يكون نوعا تحت سياج جنسي واحد . لم تسبق زينا دراسات نقدية تقعّد المصطلح عبر الدراسة الإجرائية والتحليلية، ومن هنا وطأت قدم الباحث أرضًا بكرًا من دون حدود جغرافية، فحاول أن يرسم خريطتها وحدودها غير أنه ما كان مهتما جدا بتلك الحدود .. كيف ؟ لا أدري إن كان من حسن حظ الباحث أم نحسه عدم وجود دراسة أكاديمية سابقة تملحمت مع المصطلح أولا ولعدم وجود حدود نقدية جمالية وأسلوبية لهذا النوع الشعري ؛ ثم جاء زين ليطفر بالزانة طفرة شاسعة ويعبر المنطقة الجمالية ليستعجل بدراسة القصيدة الملحمية دراسة ثقافية! ما ذا يعني ذلك ؟ أعني هل كان لزاما على زين أن يدرس هذه القصيدة العريبة دراسة جمالية وفنية وأسلوبية ويقدم دليله على تميزها الأسلوبي ثم بعد ذلك يدرسها دراسة ثقافية ؟ ربما سينبري لهذه المهمة باحث آخر وقد يطلق ينكر عليها الملحمية ويلبسها ثوب السرد أو الدراما وسيحصل حتما على إجازة دراسته وسيمدح المناقشون عمله ، ثم يأتي باحث آخر ويثبت أنها قصيدة ملحمية على المستوى الأسلوبي وسيحصل على الشهادة \_ أيضًا \_ وسيصبح الباحثان المختلفان في رؤاهم النقدية أستاذين لمادة واحدة وتخصص واحد .. هذه سنة المعرفة هذه سنة النقد .

أصدقائي أعضاء لجنة المناقشة المحترمون، اسمحوا لي أن أشارككم الرأي في النقاش .. أحسب أن الإشكالية الرئيسة هي إشكالية المصطلح وما يمثله من مفهوم، وإشكالية المصطلح ، تتأتى من إشكالية المعاجم الاصطلاحية، فأغلب بل في الأعم الأغلب المعاجم الاصطلاحية مترجمة عن اللغات الأوربية بمعنى أنها مصطلحات نابعة من فضائهم وبالتالي لا تجد في المعجم المترجم مصطلح قصيدة التفعيلة \_ مثلا \_ لأنه مصطلح يخص شكلا شعريا عربيا وليس للمترجم حق إضافته بين دفتي الكتاب، غير أنك تجد بسهولة جدا مصطلح قصيدة النثر لأنها قارة ومستقرة في منجزهم الأدبي .. وعليه ليس في المعجم النقدي العربي مصطلح القصيدة الملحمية.. الله وحده الذي يعلم كم يحتاج نقدنا إلى لملمة المصطلحات وتشذيبها وتنقيتها لتتمركز في كتاب اصطلاحي يقطع نزاع القوم . لأن المعرفة لا تنظم أفكارها إلا بانتظام مصطلحاتها، والأدب العربي ونقده إن لم يدون مصطلحاته الدالة على مفاهيمه ومظاهره سيبقى نقدا سائبا ومعرضا للشك منة جهة وسيبقى قيد سلطة النقد الرسمي المشرع للظاهرة من جهة أخرى .

من السهل أن تعثر على مصطلح القصيدة في المعجم وعلى ومصطلح القصيدة الغنائية أو الشعر المسرحي أو الشعر الملحمي أو الشعر التعليمي ولكن هيهات أن تجد ( القصيدة الملحمية ) أو القصيدة الدرامية أو القصيدة الحديثة أصلًا وكأن النقد ينتظر المئة عام التي انتظرها أبو تمام كي تعترف المؤسسة النقدية على أنه شاعر بعد أن طردته من مدينة الشعر .